

نزل القرآن في شهر الله إيدان للبرشية برشدها الإنسانى



الهدف:

التعرف على عظمة القرآن وسر نزوله في شهر الله، وجوانب من تشريعاته في هداية المجتمع ورشده.

محاور الموضوع

١. عظمة القرآن.
٢. نزول القرآن في شهر رمضان.
٣. القرآن مآدبة الله فتعلموا من مآدبة الله.
٤. القرآن كتاب هداية ورشد للمجتمع والبشرية.

تصدير:

روي عن رسول الله ﷺ قوله: «القرآن هدى من الضلال، وتبين من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة، وضياء من الأحداث، وعصمة من الهلكة، ورشد من الغواية وبيان من الفتنة ويبلغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم، وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار»^(١).

(١) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٦٠٠، ح ٨.

عظمة القرآن

القرآن هو الكتاب المقدس، والنور، والهدى، والفرقان بين الحق والباطل، والحياة، والميزان والشفاء، روي عن النبي ﷺ: «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»^(١).

وإن عظمة كل كلام وكل كتاب: إما بعظمة متكلمه وكاتبه، وإما بعظمة مطالبه ومقاصده، وإما بعظمة نتائجته وثمراته، وإما بعظمة الرسول والواسطة، وإما بعظمة المرسل إليه وحامله، وإما بعظمة حافظه وحارسه، وإما بعظمة شارحه ومبينه، وإما بعظمة وقت إرساله وكيفية إرساله... وجميع هذه الأمور التي ذكرناها موجودة في هذه الصحيفة النورانية (القرآن) بالوجه الأعلى والأوفى، بل هي من مختصات^(٢).

ولهذا كان حكمة القرآن، يتمتعون بمكانة مرموقة في المجتمع، كما روي عن الرسول

ﷺ قوله: «أشرف أمتي: حكمة القرآن، وأصحاب الليل».

نزول القرآن في شهر رمضان

ذكر في نزول القرآن عدة أقوال، أبرزها:

الأول: ومفاده: أن القرآن نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجماً مدة إقامة النبي ﷺ بمكة بعد البعثة، فعن ابن عباس أنه قال: «أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم وكان الله ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضه في إثر بعض»^(٢). وفهم من الروايات أيضاً أنه نزل بعد ذلك منجماً طيلة السنة. وهكذا كل سنة حتى رحيله ﷺ.

الثاني: ابتداء إنزاله في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة حتى رحيله ﷺ.

الثالث: التفريق بين الإنزال والتنزيل، وهو ما ذهب إليه العلامة الطباطبائي رحمه الله، حيث أفاد: «أن الإنزال دفعي والتنزيل تدريجي... فقله تعالى: ﴿وَوَقَرْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَ عَلَى

الناس على مكث وتزلزله تنزيلاً»^(٤)، ظاهر في نزوله تدريجاً في مجموع مدة الدعوة؛ وهي ثلاث وعشرون سنة تقريباً، والمتواتر من التاريخ يدل على ذلك، ولذلك ربما استشكل عليه بالتنافي مع آيات أخرى يستفاد من مجموعها نزول القرآن في ليلة القدر. والذي يعطيه التدبر في آيات الكتاب... أن الآيات الناطقة بنزول القرآن في شهر رمضان أو في ليلة منه إنما عبرت عن ذلك بلفظ الإنزال الدال على الدفعة دون التنزيل؛ كقوله تعالى: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن...»^(٥)، وقوله تعالى: «إنا أنزلناه في ليلة مباركة...»^(٦)، وقوله تعالى: «إنا أنزلناه في ليلة القدر»^(٧) (القدر، ١)^(٨).

القرآن مآدبة الله فتعلموا من مآدبة الله

ينبغي أن لا يغيب عن بالنا أننا مأمورون من قبل الله تعالى ونبيه ﷺ أن نتدبر في آيات القرآن، ونحرص على

(٤) الإسراء: ١٠٦

(٥) البقرة: ١٨٥

(٦) الدخان: ٣

(٧) انظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ١٥-١٨.

(٢) النيسابوري، أبو عبد الله: المستدرک على الصحيحين، ج ٢، ح ١، ص ٥٣٠.

(١) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٧، ب ١.

(٢) الإمام الخميني، منهجية الثورة الإسلامية، ص ٧٩.

تعليمه وتعلمه. قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١)، ولم يكتف القرآن بهذا المقدار، بل ويخ الذين لا يتدبرون هذا الكتاب العزيز: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢). وقد حرص النبي وآله على مباشرة تعليم القرآن لأصحابهم، وأمرهم بتعليم بعضهم البعض ليتحول تعلم القرآن وتعليمه إلى فريضة واجبة، عن رسول الله ﷺ: «القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبة الله ما استطعتم...»^(٣).

وورد الحث على العمل بكتاب الله بعد تعلمه، روي عن رسول الله: «من تعلم القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى، فيقول: يا رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى، فيؤمر به إلى النار»^(٤).

والحكمة واضحة من الحث والتشديد على العمل بالقرآن هي أن الغاية المرجوة من كتاب الله هي إضافة إلى هداية البشرية إلى عقيدة التوحيد وتعزيز بنيانها الفكري، إنقاذها من التخلف والانحطاط الاجتماعي والأخلاقي والتربوي والسياسي...

القرآن كتاب هداية ورشد للمجتمع والبشرية

يحتوي القرآن الكريم على مقاصد وأهداف عظيمة تتعلق بالحياة والكون والإنسان؛ فهو بالإضافة إلى كونه كتاب هداية وإرشاد للفرد، شرع نظاماً شاملاً للحياة البشرية بما فيها من قضايا الخلق والوجود، والتضامن والتآخي الاجتماعي، والضبط الأخلاقي الاجتماعي، ومعرفة النفس...

فعلى صعيد الوجود؛ فإن القرآن

يقدم الإجابات على ما يشغل بال الإنسان حول الوجود والغيب والحياة الأبدية؛ وفلسفته توضح معنى الوجود الإنساني في هذه الحياة... «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»^(٥). والأنبياء والرسول ﷺ ما هم إلا حلقات الاتصال بين عالمي الغيب والشهادة، فلا ريب أن تكون أولى مهماتهم دعوة الأفراد إلى الإيمان بما وراء العالم المحسوس وهو عالم الغيب: «عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول»^(٦).

وعلى صعيد معرفة النفس؛ فإن القرآن يكشف للإنسان أن للنفس الإنسانية قابلية عظيمة على تنمية الخير أو إنشاء الشر، واستعداداً عظيماً لعمل الطيبات والحسنات أو لفعل السيئات والخبائث: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا»^(٧)، وما على المكلف إلا سلوك الطريق الذي رسمه له القرآن.

وعلى صعيد المجتمع؛ فإن القرآن يقوم بتوحيد المؤمنين على محور العبودية لله، ويجمعهم تحت راية العقيدة المشتركة والمصير الواحد: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»^(٨)، ويدعوهم إلى الارتباط الاجتماعي: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^(٩)، وعدم التنازع: «وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ»^(١٠)، والتعاون على الخير: «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان»^(١١)، والتأكيد على صلة الرحم: «وَالَّذِينَ

يَصْلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ»^(١٢)...

وعلى صعيد الضبط الأخلاقي الاجتماعي؛ فإن القرآن الكريم يرشد الأمة إلى تنظيم شؤونها الاجتماعية عن طريق تقديم نظام اجتماعي إلهي في غاية الكمال، فيدعوها - على النطاق السياسي - إلى طاعة الولاية الشرعية: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»^(١٣).

وعلى النطاق القضائي، يدع الأمة إلى العدالة القضائية: «وَأِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ بِحُبِّ الْمَقْسُطِينَ»^(١٤).

وعلى النطاق العائلي، يدعوها إلى حفظ الحقوق الزوجية المادية والمعنوية: «وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا»^(١٥). وحرص على أقوى وأجمل العلاقات العاطفية بينهما. فقال تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»^(١٦).

ختام: لهذا كله حثت الأخبار على التمسك بالقرآن، واعتبر القرآن هادياً للأنام، ومصلحاً لشؤون البشر وقضاياهم، ومنقذاً لهم من التيه والضلالة والردى.... وهو ما ذكره رسول الله ﷺ بقوله عن القرآن... هدى من الضلال، وتبيان من العمى، واستقالة من العثرة، ونور من الظلمة.

(٥) الذاريات، ٥٦.

(٦) الجن، ٢٧.

(٧) الشمس، ٧-٨.

(٨) النساء، ١٠٣.

(٩) آل عمران، ٢٠٠.

(١٠) الأنفال، ٤٦.

(١١) المائدة، ٢.

(١٢) الرعد، ٢١.

(١٣) المائدة، ٥٥-٥٦.

(١٤) المائدة، ٤٢.

(١٥) النساء، ١٩.

(١٦) الروم، ٢١.

(١) ص، ٢٩.

(٢) النساء، ٨٢.

(٣) وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٨٢٦.

(٤) بحار الأنوار.